

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى، وعلى وصيه ووزيره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المرتضى، وعلى آله المعصومين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين بولائهم النجاة، وبمعاداتهم الهلاك والردى.

أما بعد،

اسمحوا لنا أن ننظر أولاً نظرة عابرة إلى ما ورد من الأئمة المعصومين عليهم السلام حول تفسير القرآن الكريم و تأويله:

1/[1]– فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ مَوْلَانَا بَاقِرِ الْعِلْمِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، قَالَ: «مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ظَاهِرَهُ وَ بَاطِنَهُ غَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ».

2/[2]– وَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ادَّعَى[3] أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا كَذَبَ، وَ مَا جَمَعَهُ وَ حَفِظَهُ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَ الْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ».

3/[4]– وَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَوْلَى الْأُمَّةِ وَ إِمَامِهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ جَاءَهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَسْأَلُهُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَوَعَدَهُ بِاللَّيْلِ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ: «مَا أَوَّلُ الْقُرْآنِ؟». قَالَ: الْفَاتِحَةُ.

قَالَ: «وَ مَا أَوَّلُ الْفَاتِحَةِ؟» قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ.

قَالَ: «وَ مَا أَوَّلُ بِسْمِ اللَّهِ؟». قَالَ: بِسْمِ.

قَالَ: «وَ مَا أَوَّلُ بِسْمِ؟». قَالَ: الْبَاءُ، فَجَعَلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَتَكَلَّمُ فِي الْبَاءِ طُولَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا قَرُبَ الْفَجْرُ قَالَ: «لَوْ زَادَنَا اللَّيْلُ لَزِدْنَا».

---

[1] – بصائر الدرجات: 213/ 1.

[2] – بصائر الدرجات 213/ 2، مناقب الخوارزمي: 48.

[3] في بصائر الدرجات: يقول.

[4] – الصراط المستقيم 1: 219.

4/[5]– وَ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَوْ شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ[6] سَبْعِينَ بَعِيراً فِي تَفْسِيرِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

5/[7]– وَ قَالَ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ: «لَوْ وَجَدْتُ لِعِلْمِيَ الَّذِي آتَانِيَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حَمَلَةً لَنَشَرْتُ التَّوْحِيدَ، وَ الْإِسْلَامَ، وَ الْإِيمَانَ، وَ الدِّينَ، وَ الشَّرَائِعَ مِنَ الصَّمَدِ، وَ كَيْفَ لِي بِذَلِكَ وَ لَمْ يَجِدْ جَدِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَمَلَةً لِعِلْمِهِ؟! حَتَّى كَانَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ وَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنِّي لَعِلْماً جَمّاً، لَا يُحْصَى وَ لَا يُحَدُّ، أَلَا وَ إِنِّي عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَ لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ».[8]

6/[9]– وَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِرَجُلٍ: «إِيَّاكَ أَنْ تُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِكَ حَتَّى تَفْقَهَهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّهُ رُبَّ تَنْزِيلٍ يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ وَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَ تَأْوِيلُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ، كَمَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ يُشْبِهُهُ، كَذَلِكَ لَا يُشْبِهُ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى شَيْئاً مِنْ أَفْعَالِ الْبَشَرِ، وَ لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ كَلَامَ الْبَشَرِ، وَ كَلَامُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى صِفَتُهُ، وَ كَلَامُ الْبَشَرِ أَفْعَالُهُمْ، فَلَا تُشَبِّهْ كَلَامَ اللَّهِ بِكَلَامِ الْبَشَرِ، فَتَهْلِكَ وَ تَضِلَّ».

7/[10]– وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) التَّنْزِيلَ وَ التَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عَلِيّاً (عَلَيْهِ السَّلَامُ)».

---

[5] – مناقب ابن شهر آشوب 2: 43، ينابيع المودّة: 65.
[6] الوقر– بالكسر–: الحمل.« الصحاح– وقر– 2: 848».
[7] – التّوحيد: 92/ 6.
[8] الممتحنة: 264/ 5.
[9] – التّوحيد: 264/ 5.
[10] – تفسير العيّاشي 1: 17/ 13.

11/8[11]- وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)- فِي حَدِيثٍ لَهُ مَعَ قَتَادَةَ، وَ قَدْ أَخْطَأَ قَتَادَةُ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ- فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«يَا قَتَادَةُ، إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ».

12/9[12]- وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ يَنْزِلُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ، وَ أَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ، وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً[13] مِنْ مِيلَادِ الْجَاهِلِيَّةِ».

14/10[14]- وَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «مَا أَبْعَدَ عُقُولَ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

15/11[15]- وَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا جَابِرُ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً، وَ لِلْبَطْنِ ظَهْراً».

ثُمَّ قَالَ: «يَا جَابِرُ، وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْهُ، إِنَّ الْآيَةَ لَيَنْزِلُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ، وَ أَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ، وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ، وَ هُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ يُتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهٍ».

16/12[16]- وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ».

---

[11] - الكافي 8: 312/ 485.
[12] - تفسير العيّاشي 1: 17/ 1.
[13] الأحزاب 33: 33.
[14] - تفسير العيّاشي 1: 17/ 5.
[15] - تفسير العيّاشي 1: 11/ 2، المحاسن: 300/ 5.
[16] - تفسير العيّاشي 1: 18/ 6.

13/17[17]– وَ عَنْ مُرَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَ اللَّهِ، مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ– لَا يَسْتَطِيعُ عَبْدٌ أَنْ يَقُولَ: لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ– إِلَّا وَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ».

14/18[18]– وَ عَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئاً تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ[19] إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَ بَيَّنَهُ لِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، وَ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً، وَ جَعَلَ دَلِيلًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَ جَعَلَ عَلَى مَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ الْحَدَّ حَدّاً».

15/20[20]– وَ عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَ لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ لَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ».[21]

و بدا مما ذكر لكل من أسلم و آمن، منزلة القرآن وعظيم شأنه، فهو النور المبين، والعروة الوثقى، والمستمسك الأقوى، من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه غوى. فيه حياة القلوب، وشفاء الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين. غير أن أسرار تأويله و حقائق خفياته لا تُدرك بالعقول القاصرة، ولا تنال إلا من خلال الراسخين في العلم، الذين اصطفاهم الله من عباده، وهم أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، الذين أودع الله فيهم علم الكتاب، وجعلهم المرجع في فهم التنزيل والتأويل.

---

[17] – المحاسن: 267/ 352.

[18] – تفسير العيّاشي 1: 6/ 13، الكافي 1: 48/ 2.

[19] في العيّاشي زيادة: إلى يوم القيامة.

[20] – المحاسن 267/ 355.

[21] بحرانى، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، 5جلد، موسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية – ايران – قم، چاپ: 1، 1415 هـ.ق.

القرآن الكريم ليس كتابًا ظاهرًا فحسب، بل يحمل في طيّاته أعماقًا من المعاني الباطنية والحقائق الربانية لا يعرفها حقًّا إلا أهل بيت النبي ﷺ، و هم بضعة الرسول مولاتنا فاطمة البتول و مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب و الحسن المجتبى و الحسين الشهيد بكربلاء و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و علي بن محمد و الحسن بن علي و الحجة القائم المنتظر المهدي (عليهم السلام).

- ✓ و عندهم العلم الكامل بالقرآن الكريم لا أحد يستطيع أن يدّعي إحاطةً تامة بالقرآن الكريم ظاهرًا وباطنًا إلا أهل بيت النبي ﷺ و هم وحدهم من جمعوه كما أنزله الله.
- ✓ و لهم العلم العميق والتفصيلي بكتاب الله تعالى كما بين مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لعبد الله بن عباس أنّ كل حرف في القرآن له دلالات عميقة؛ فشرح حرف "الباء" من "بسم الله" ليلةً كاملة، وقال: "لو زادنا الليل لزدنا". كما ذكر أنه يمكنه أن يملأ سبعين بعيرًا بتفسير الفاتحة فقط.
- ✓ و عبّروا عليهم السلام عن أسفهم لعدم وجود من يحمل علمهم كما لم يجد مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب و أيضا سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، من يحمل علمهم رغم وفوره، وكان يقول: "سلوني قبل أن تفقدوني"، مشيرًا إلى سعة علمه وحجّته البالغة على الناس.
- ✓ و حذَّروا عليهم السلام جميع الناس من التفسير بالرأي. لأن كلام الله لا يشبه كلام البشر، وتأويله لا تدركه العقول العادية، بل يحتاج إلى علم خاص من أهل العلم.

- ✓ و هم العارفون بحقيقة القرآن الكريم كما علَّم النبي ﷺ عليًا التنزيل والتأويل معاً، والإمام الباقر (ع) أكّد أن من يخطئ في تفسير القرآن الكريم، إنما أخطأ لأنه ليس من المخاطَبين به، أي ليس من الأوصياء و الحجج البالغة و الأئمة المعصومين عليهم السلام.
- ✓ تعدّد المعاني وتداخل السياقات في القرآن الكريم لا يفهمها فهما كاملا إلا النبي و بضعته و الأئمة المعصومين عليهم السلام. كثير من آيات القرآن لها أكثر من وجه ومعنى؛ أوّلها في شيء، ووسطها في شيء، وآخرها في شيء آخر، مما يجعل تفسيرها بعيدًا عن عقول الناس دون هدى الحجج المعصومين عليهم السلام.
- ✓ و القرآن الكريم كتاب شامل وكامل يحتوي على بيان لكل ما تحتاج إليه الأمة و البشرية، ولا مسألة تقع إلا ولها أصل في كتاب الله، لكن لا يبلغها الناس بعقولهم المجردة القرآن كتاب هداية ظاهرًا وباطنًا، وتفسيره الحق لا يكون بالقياس و الإستحسان و المصالح المرسلة و أقوال الصحابة الفسقة و الشرائع المنسوخة المحرفة و لا بالرأي أو الاجتهاد الشخصي، بل لا بد أن يُؤخذ من أهله، محمد و آل محمد الذين أورثهم الله العلم الكامل، فهم حججه على الخلق، وهم مفسّرو كتابه بحق، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

والله نسأل أن يحيينا على ولايتهم، ويميتنا على حبهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.